ولما ارشدتهُ الى كلّ الاعمال الجليلة التي شرّفت ملكهُ ولما آثرت صوالح النصرانيّة على صوالح فرنسة الخاصّة فرضيت بان يتجنّد للمسيح . وقد عرف لويس لأمهِ كلّ هذه الخدَم فكان يعطّر فمهُ بثنائها امام كلّ حاشية دولتهِ ولما بلغهُ خبر وفاتها تفجّرت الدموع من عيونهِ سيولًا فكان يقول : ما كنت أُحبّ بعد الله خليقةً مثلها »

ولذلك ترى كتبة تاريخ لويس التاسع لا يفرقون الابن عن امهِ ويقرّون جهارًا انّ مزاياهُ السامية لم تكن غير صدى لحسن شمائل امهِ . قال فولتير الملحد الشهير (١ « انّ لويس التاسع أولى فرنسة النصر وجعلها في ذروة التمدّن وكان في كلّ شيء مثالًا للبشر جمع بين تقوى الحبساء وفضائل اسمى الملوك وبين الكرم الواسع والاقتصاد الحكيم وبين حسن السياسة والعدل التامّ ولعلّهُ هو الملك الوحيد الذي استحقّ هذا المديح اشتهر بضبطهِ وحزمهِ وبسالتهِ في الحروب دون تهوّر وبرحمتهِ نحو الفقراء كأنّهُ في حياتهِ لم يعرف غير البؤس والفقراء لا نظنّ انّ الانسان يمكنهُ على الارض ان يتجاوز هذه الحدود في البرّ والصلاح »

فترى من هذا المثل ما للام من السطوة والقدرة في تربية ابنها . فاليك الامهات يدركنَ عظم دعوتهنّ فبكل حق يمكننا ان نختم هذا الكلام بقولنا انّ مستقبل الولد وسعادتهُ متوقفة بنوع خاصّ على اجتهاد الوالدة واهتمامها كما انّ اهمالها لتربيتهِ يعود عليها وعلى العائلة باسرها بتنغيص العيش وامرّ الاكدار وذلك قبل ان تقوم بازاء الدّيّان الرهيب لتؤدي الحساب عن الوديعة التي أؤتمنتها

الابرشيّة الارمنيّة الكاثوليكيّة في حلب

لحضرة الاب الفاضل الورتيت بولس بليط الارمني الكاثوليكيّ

قد بيّن المشرق في احدى السنين الفائتة (٥٢:٣) انّ روح الكثلكة دبّ في طائفة الارمن منذ قام فيها رسولًا غيورًا وراعيًا مقدامًا ذلك الرجل الفاضل والاسقف الكامل السيّد ابراهيم ارزيشان الذي قُلّد رتبة الاسقفيّة على حلب سنة ١٧١٠

وهذا الكلام لا يصحّ الّا على وجه فقط اذا لحظنا سلسلة الاساقفة المتّخذين مع كنيسة رومية بلا انقطاع اماّ وجود الارمن الكاثوليك في حلب مع بعض اساقفة

(١ اطلب ترجمة لويس التاسع (Voltaire: *Essai sur l'Histoire Générale*)

مقرين برئاسة الكرسي البطرسي وبالتعاليم الرسولية فانّ ذلك قديم العهد واصلهُ يرتقي الى القرون الوسطى او ما وراء تاريخها . وكان تجار الارمن يقصدون الشهباء لشهرتها وغناها قادمين اليها من جهات قيليقيا ومن بلاد العجم وما بين النهرين فيستوطنونها مؤملين الربح من تجارتها . على انّنا لم نتمكّن من معرفة اوّل ظهور هذه الطائفة فيها

وممّا اخبرهُ المعلّم غالانوس (١ وغيرهُ من المؤرخين انّ حاتم (هيتوم) صاحب سيس دخل حلب سنة ١٢٥٩ في خدمة مونكوكا (منغوخان) اخي هولاكو التتري وكان حاتم المذكور كاثوليكيًّا فاضلًا متّحدًا مع الكرسي الروماني المقدّس كما اثبت ذلك الكاڤالير دومنيكوس في تاريخهِ العام لقبرس واورشليم (ج ١ ص ٦٤٤) . وقد مدح البابا اقليمس الرابع سموّ فضلهِ وتقاهُ وطاعتهُ للكرسي البطرسي في كتاب جليل ارسلهُ اليهِ ليعزيهُ في نكباتهِ . وحاتم هذا تنازل عن الامر طوعًا لابنهِ لاون واعتزل في بعض الأديار زاهدًا وانهى حياته بالنسك والفضيلة . ولا شك انّ قومًا من الارمن الكاثوليك نزلوا حلب وجعلوا فيها سكناهم على عهدهِ . وهو أقدم ما لقينا من الاثار لوجود الارمن في حلب

ولعلّ هولاء الكاثوليك تناسلوا وتواصلوا الى القرن الخامس عشر . وممّا لا يُنكَر انّ البطريرك قسطنطين ارسل نيابةً عنهُ الى المجمع الفلورنتيني المسكوني سنة ١٤٣٨ يواكيم مطران ارمن حلب كما يلوح من تاريخ المعلّم ميخائيل شاميش (ك ٦ ص ٤٧٥) وقد اثبتهُ غبطة بطريركنا غريغوريوس الثامن في تأليفهِ المدعو «تيغيران» كما سبق واشار اليهِ غالانوس في كتابهِ الجدلي (ص ١٧٢) وكان ليواكيم رفقة صحبوهُ الى المجمع وقد خصّهُ البابا اوجانيوس الرابع بالمدح في رقيمهِ الشهير الذي وجّههُ الى الارمن

وفي السنة ١٥٦٣ سافر من حلب بعضٌ من الارمن الكاثوليك لزيارة عاصمة الكثلكة واسماؤهم لا تزال محرّرة في خزانة كنيسة القديس بياجيوس (كذا) في رومة كما تبيّن ذلك السيّد يوسف فرحيان وكيل غبطة بطريركنا لدى الكرسي الرسولي واطّلع عليهِ هناك فاخبرنا بهِ

وفي السنة ١٥٨٤ لما حضر القاصد الرسولي السيّد ليونرذس ايبلا اسقف صيدا

١) راجع كتابهُ المدعو اتفاق الكنيسة الارمنيّة مع الكنيسة الرومانيّة المطبوع لاتينيًّا وارمنيًّا في رومية سنة ١٦١٠ في مطبعة انتشار الايمان (ج ١ ص ٢٨٣-٢٨٦)

الى هذه البلاد ليخابر رؤساء الطوائف الشرقيّة ويفحص عن صحّة ايمانهم وعن تعلّقهم بالكرسي الرومانيّ ارسل اعيان ارمن حلب مكتوباً الى النائب البطريركي يحضّونهُ الى المجيء الى حلب ليجتمع بالقاصد المذكور ويفاوضهُ بالامور التي ذكرها الاب الاقدس في براءته الخصوصيّة. وهذا الامر ثابت قرّرهُ القاصد الموما اليهِ في تقريرهِ الذي ارسلهُ الى البابا سكستوس الخامس. وقد دوّنهُ غبطة السيّد عازريان في كتابهِ المسمّى تقليد الكنيسة الارمنيّة في رئاسة الاحبار الرومانيين وعصمتهم (ص ٨٠ طبعة رومية ١٨٧٠)

وفي السنة ١٥٨٥ اراد البطريرك اظاريا ان يؤدي للحبر الاعظم فروض الطاعة فارسل الاسقف يوحنّا الحلبيّ مع شمّاس الجيلي يدعى كريكور كان حلبيّاً ايضاً وسلّمهما صورة ايمانهِ ليقدّماها الى البابا غريغوريوس الثالث عشر. وقد اخبر المؤرّخ غالانوس (ج١ص٣٩٦) انّ البطريرك المذكور في السنة التابعة ارسل صورة ايمانهِ ثانيةً الى البابا سكستوس الخامس وكان وقّعها اربعة من اساقفتهِ في جملتهم الاسقف يوحنّا السابق ذكرهُ. وقد اورد ذلك ايضاً في تاريخهِ المعلّم شاميش (ج٣ص ٥٢٨). وفي رومية في الخزانة الواتيكانيّة صكّ مكتوب بيد لعازر اسقف حلب قدّمهُ للحبر الاعظم شهادةً على ايمان البطريرك اظاريا وعلى ايمانهِ يقول فيهِ: «انا لعازر مطران حلب اشهد انّ البطريرك اظاريا اقبل صورة الايمان ونحن ايضاً نقبلها تماماً». وكانت هذه صورة الامانة كاثوليكيّةً دون ريب

ومات البطريرك اظاريا المذكور في حلب. وضريحهُ معروف الى اليوم يُرى في كنيسة الاربعين شاهداً التي هي في يد الارمن المنفصلين. وقد كُتب عليهِ بالارمنيّة ما تعريبهُ: «السيد اظاريا الكاطوغيكوس (البطريرك) تنيّح في سنة ١٠٥٠» (على حساب الارمن وهي السنة ١٦٠١ للمسيح). ويوجد هناك ضريح آخر مكتوب عليه: «هذا ضريح المطران سركيس الذي تنيّح بالربّ سنة ١٠٢٧» (١٥٧٨ م) وعلى الضريح شارة الاراضي المقدسة هكذا

ولما دخلت الرهبانيّة اليسوعيّة الى حلب في العشر الثالث من القرن السابع عشر كان مرسلوها يعتنون كثيراً بتبشير الارمن ويسعون في اعادتهم الى حجر الكنيسة الرومانيّة. وممّن يستحقّون في ذلك ذكراً خصوصيّاً الاب ح. شيزو (Aimé Chezaud)

المرسل الغيور الشهير باعماله وتآليفه . ومن مساعيه المشكورة ما رواهُ البشير في عددهِ ٧١٢ الصادر في ١ ايار من السنة ١٨٨٤ حيث ورد ذكر الرسالات اليسوعيّة في الشرق قال « انهُ كان في السنة ١٦٤١ يخصّص ثلاثة ايّام في كل اسبوع ليعلّم كهنة الارمن الفلسفة واللاهوت » . وقال في العدد ٧٢٢ انّهُ كان يدبّر في حلب اخويّتين احداهما للارمن » واضاف الى ذلك في عددهِ ٧٣٠ ما مفادهُ :

« وكان الارمن وقتئذٍ (اي في السنة ١٦٤١) في حلب كاثوليكيين وغير كاثوليكيين . امّا الكاثوليك فكانوا من بلاد ايران من اقليم نخشيوان . امّا باقي الارمن غير الكاثوليك فكانوا ايضاً موضوع غيرة الاب شيزو وعنايته . . . ومن اجلّ اعمال الاب شيزو في حلب انهُ سافر الى طاعة الكرسي الرسولي اسقفاً ارمنياً فابدهُ المثابرون فلاذ ببلاد الكبادوك حيث اعتزل في دير اقام فيهِ كرنيس وسار سيرةً رهبانية كانت نموذجاً للتقوى والفضائل النادرة . . وكفى بنا ان نقول انّ الاب شيزو نكّن حينئذٍ ان يضمّ اكثر من الف ارمنيّ الى الدين الكاثوليكيّ (١) »

فيتّضح من هذا التاريخ انّهُ سبق عهد اليسوعيين وجود الكاثوليك بين الارمن في حلب وانّما اضافوا اليهم بغيرتهم عدداً وافراً من المرتدّين . وذلك مما يثبت ايضاً من رسالة أخرى للاب بوراسون (Poirresson) رئيس الرسلين اليسوعيين العام تاريخها سنة ١٦٥٣ حيث يخبر بان الاب شيزو خدم الارمن الكاثوليك في حلب خدمةً نصوحاً « فبالغ الامير استفهم الذي كان في العجم وهو من رهبنية القديس عبد الاحد فسُرَّ بنشاطهِ وارسل اليهِ كتاباً يشكرهُ فيهِ ويمنحهُ السلطة لانشاء اخويّة الوردية بين رعاياه (٢) »

فهذه بعض دلائل على وجود الارمن الكاثوليك في حلب قبل القرن الثامن عشر وكنّا نودّ لو امكننا الحصول على تفاصيل اخبارهم وحالة نفوسهم الّا انّ ندرة التواريخ المكتوبة في ذلك العهد لا تسمح بأن نسدّ هذا الخلل

ومن جملة افاضل الكاثوليك الادباء الذين ازهروا في ابرشيّة حلب قبل وناسة المطران ابراهيم ارزيفيان العالم النحرير مكرديج بن عبدالله الكسيح الشهير بفضلهِ وعلمهِ . لهُ عدّة تآليف نفيسة روحيّة وادبيّة وعلميّة منها حلّ مشكلات الانجيل

---

١) اطلب ايضاً P. Rabbat : *Documents pour servir à l'Histoire du XVIIme en Orient* (I, p. 53-54) ومما يستفاد من هذا التاريخ انّ الارمن كانوا وقتئذٍ في حلب عشرين الفاً بين كاثوليك وغير كاثوليك وانّ الاب شيزو كان يقبل اعتراف كلّ عائلة الاسقف المنفي الى الكابادوك ٢) وفي رسالات الآباء اليسوعيين انّهم اعادوا الى الايمان الكاثوليكي كاثيادور بطرك الارمن في حلب سنة ١٦٥٥

وكتاب ريحانة الارواح وكتاب ظلّ الكمال في تثقيف الاعمال وضعهُ سنة ١٧١٠ للتجسُّد وكتاب فقة اللغة وقد مدحهُ السيد جرمانوس فرحات في ديوانهِ كما اشهر فضلهُ الخوري نيقولاوس الصائغ الذي وجّه اليه رسالة بديعة اثنى عليهِ فيها اطيب الثناء. (اطلبها في ديوانهِ في الصفحة ٢٨٧)

﴿ المطران ابراهيم ارزيفيان ﴾ فلنأتِ الان الى سياق اساقفة حلب منذ اقيم على الارمن الكاثوليك اوّل اسقف تاريخيّ وانتظمت سلسلة رعاتهم. ألا وهو ذلك المصباح الوهّاج الذي انار نفوساً لا يستوفيها احصاء. هداها الى معرفة الحقّ وسبق بها الى مراقي الفضيلة بغيرتهِ المقدّسة السيّد الجليل ابراهيم ارزيفيان الملقب بالنسر

ولما كان المشرق (٣: ٥٢ — ٥٦) قد ذكر في مقالة سابقة ترجمة هذا الرجل السامي الفضل واثنى على جليل اعمالهِ نحيل القرّاء الى مراجعة تفاصيلها. ونكتفي هنا بتدوين بعض تواريخ حياته. كان مولدهُ في عينتاب في ١٢ نيسان سنة ١٦٧٩ وقبل الكهنوت سنة ١٧٠٦ فبشّر بالايمان الكاثوليكيّ في كلّ انحاء البطريركيّة الارمنيّة ثمّ تفرّد في حلب لأعمال الوعظ والتعليم الى ان سيم اسقفاً على الشهباء سنة ١٧١٠ في كنيسة الاربعين شاهداً بحضور قناصل الدول الكاثوليكيّة فازداد عندئذٍ غيرة على مجد الله الاعظم وخلاص النفوس ونموّ الايمان الكاثوليكيّ. ولما نالتهُ محن عديدة اضطرّتهُ الى مباينة كرسيهِ اخذ يطوف بلاد الدولة العليّة منقطعاً للانذار والتبشير بين ابناء طائفتهِ الارمنيّة وخصوصاً في القسطنطينيّة وقيساريّة والعمرة وخصوصاً في طرابزون حيث استقام سنتين يكرز ويعلّم وقد ضمّ كثيرين الى الحظيرة البطرسيّة وخصّ ببني طائفتهِ اربع كنائس. ثمّ شارك السيّد ملكون طازباز مطران ماردين في اتعابهِ لكنّ العناية الالهيّة استبقتهُ لخير اعظم. فلمّا نجا من اعدائهِ اخذ يجول بلاد العراق وما بين النهرين مباشراً اعمال الرسالة بانمار لا تُحصى الى ان تمكّن من الرجوع الى حلب ابرشيّتهِ سنة ١٧١٩ فضاعف همّتهُ في خلاص نفوس شعبهِ وقد امكنهُ ان يجذب كثيرين من البطارنة والاساقفة والكهنة والاعيان لأن يتقدّموا الى الكرسيّ الرسوليّ معاريض تتضمّن صورة ايمانهم المستقيم وخضوعهم التامّ لسيّد الاحبار وتلقّيهم المتين بكرسيّ نائب المسيح على الارض. وقد صادق على هذه الاعراض الكاثوليكوس يوحنّا بطريرك الارمن وامضاه بختمهِ بما ترجمتهُ: «انا يوحنّا

انكاطوغيكوس اطّلعتُ على هذه الاعراض وصادقت عليها مثبتًا بامضائي وختمي فمن لا يقبل هذا فليكن محرومًا». على انّ هذه الاعمال الجليلة أثارت بعض الغريغوريين فعارضوا رجل الله دون اتمام مقاصده الصالحة كما ورد تفصيل ذلك في المشرق (٥٣:٣) حتى نجا منهم الى لبنان وابتنى دير الكريم

ثمّ خمدت نار بغضة الغريغوريين فامكن المطران ابراهيم ان يعود الى حلب سنة ١٧٣٩ ونال الحظوى لدى واليها عثمان باشا ابن الدرجلي. وكان هذا الحاكم يعزّ الكاثوليك لامانتهم في خدمة الدولة العثمانيّة. واستعمل منهم احد الوجهاء وهو جرجس اسيون الصرّاف وقدّمهُ في الخدمة وبناء على ملتمسه نال الكاثوليك كنيسة السيدة وبرئت ساحة اسحاق ابن الصبّاغ الوردي وغيره ممّن كانوا اتّبعوا الكنيسة الرومانيّة

وفي السنة ١٧٤٠ احبّ البابا بنادكتوس الرابع عشر ان يقيم خلفًا للوقا بطريرك سيس فاختار لهذا المنصب المنيف المطران ابراهيم ارزيثيان وخوّلهُ هذه الرتبة برسالته المؤرخة في ٢٦ ت٢ سنة ١٧٤٢ وفيها يثني اطيب الثناء على البطريرك الجديد ولما رحل هذا الى رومية لزيارة الاعتاب الرسوليّة لقي لدى الحبر الروماني مزيد الاكرام والحفاوة ونال منهُ درع الرئاسة وعدة امتيازات وتسمّى باسم بطرس الاوّل. ثمّ عاد الى المشرق وقضى بقيّة حياته في اعمال البرّ وتدبير طائفته الى ان مات برائحة القداسة في غرّة تشرين الاول سنة ١٧٤٦ في دير الكريم وفيهِ دُفن بكل شرف واجلال.

وقد كتب ترجمة حياته العلّامة داوديان بالايطالية ومنها نقل المشرق ملخّص اعمال ذلك الراعي الصالح والحبر المفضال (لهُ بقية)

الى التراب تعود

بعض افكار لفكتور هوغو من قصيدة قالها عند وفاة ابنتهِ عرّبها بتصرّف الاديب حنا ساره البتروني وبيتهُ ان يبيّن ما كان لذلك الشاعر الشهير من العواطف والافكار الدينيّة الحسنة في بادئ امره وما آل اليهِ في آخر عمرهِ فتأمل

وَيْكَ أتئدْ يا ايها الانسانُ لِمْ أنت في حب الدُنى هيمانُ؟